القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة في الخطاب القرآني
نماذج من قصة إبراهيم عليه السلام

سعاد رمضان خليفة المريري*
كلية التربية بالزاوية ، جامعة الزاوية ، ليبيا
البريد الالكتروني s.almareeri@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/12/8م تاريخ القبول 2026/1/11م

The Illocutionary Force of Indirect Speech Acts in Qur'anic Discourse (Examples from the Story of Prophet Abraham (peace be upon him)

Suad Ramadan Khalifa Al-Mareeri
University of Zawia
Faculty of Education — Zawia
Email: s.almareeri@zu.edu.ly

Abstract:
This study examines the illocutionary force of indirect speech acts in Qur'anic discourse, through an applied analysis of selected examples from the Holy Qur'an, specifically from the story of Prophet Abraham (peace be upon him). The research is structured into two main sections: a theoretical section and an applied section.
The theoretical section discusses the concept of the speech act and the indirect speech act, as well as the concept of illocutionary force. The applied section, in turn, investigates the directive speech acts — namely command, interrogation, and vocative forms — by treating them as indirect linguistic acts that carry illocutionary force within discourse. This illocutionary force conveys implicit meanings and intentions that are revealed through interpretation and exegesis.
Keywords: Speech act — Indirect speech act — Illocutionary force.

الملخـــــــــص:
يتناول هذا البحث القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة في الخطاب القرآني، وذلك بالتطبيق على نماذج من القرآن الكريم من قصة إبراهيم عليه السلام، وجاء البحث في مبحثين؛ مبحث نظري، ومبحث تطبيقي، أمّا المبحث النظري فقد قدّمتُ الحديث فيه عن مفهوم الفعل الكلامي والفعل غير المباشر، وعن مفهوم القوة الإنجازيّة، وأمّا المبحث التطبيقي فكان الحديث فيه عن دراسة الفعل الطلبي "الأمر، والاستفهام،

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

والنداء"، وذلك بوصفة فعلاً لغويًا غير مباشر يحمل قوةً إنجازيةً في الخطاب، هذه القوة الإنجازيّة تحمل دلالاتٍ ومقاصدَ غير مباشرة تتضح من خلال تفسيرها وتأويلها.

الكلمات المفتاحيّه: الفعل الكلامي ، الفعل غير المباشر، القوة الإنجازية.

المقدمة:

يُعدّ الخطاب القرآني أرقى أنواع الخطاب اللّغوي الذي تتجلّى فيه طاقات اللغة ووظائفها، فهو لا يقتصر على فعل المعنى الظاهر فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى إحداث أثر إنجازي عميق في المتلقي، ومن أبرز مظاهر هذا الأثر ما يُعرف بالقوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة، حيث يُعبّر عن المقاصد التداولية بصيغ لُغوية لا تطابق ظاهرها النحوي، ويقوم القرآن الكريم بتوظيف هذه الأفعال توظيفًا دقيقًا يراعي السياق والمقام وحال المخاطب، فالاستفهام والأمر والنداء قد يأتي كل منهم في صورة خبر، والخبر قد يُراد به الدعاء أو التهديد أو التقرير أو التوجيه، وهذا الأسلوب يمنح الخطاب القرآني بُعدًا بلاغيًا تداوليًا بالغ التأثير، فدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة تتجلي من خلالها القوى الإنجازية لهذه الأفعال، حيث تُساعد على فهم آليات التأثير في النص القرآني.

المبحث الأوّل

قبل الخوض في معنى القوة الإنجازية ومعنى الفعل غير المباشر، تجدر بنا الإشارة إلى مفهوم الفعل الكلامي.

أولاً – مفهو مالفعل الكلامي:

الفعل غير المباشر هو فعل كلامي، ونظرية الفعل الكلامي تمثل أحد أعمدة الدرس التداولي الحديث، إن لم تكن هي الركيزة التي اعتمدت عليها التداولية في أغلب مجالاتها، بل تُعدّ نظرية الفعل الكلامي من بين النظريات التداولية التي كان لها صدىً كبيرًا في مجال الدراسات اللّسانية، وأنّ التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلامية.

وقد أسّس هذه النظرية "جون أوستين" وضبط منهجها تلميذه "جول سيرل"، وتمثلت نظرية أوستين في محاضرة طُبعت بعد وفاته عام 1962م في كتاب يحمل عنوان "كيف تنجز الأفعال بالكلمات"[1].

وقد أقرّ أوستين بأن "كل قول هو عبارة عن عمل أو فعل"[2]، وقسم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال هي:

1- فعل القول أو الفعل اللُغوي، ويُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، وهو يشمل المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي[3].

2- الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل يُنجز بقولٍ ما،هذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية يرمّتها، ولذا؛ اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية[4]، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة.... إلخ، فالفرق بين فعل القول والفعل المتضمن في القول أن الفعل المتضمن في القول هو قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل أنّ الأوّل هو مجرد قول شيء[5].

ويمكن أن أورد مثالاً على ذلك: قولك لصديقك هل تذهب معي إلى السوق؟ ففعل القول هنا هو الاستفهام، ولكن الفعل المتضمن في القول هو الطلب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الفعل المتضمن في القول هو الفعل الذي يمكن أن تُحددّ أو تتّضح من خلاله القوة الإنجازية للفعل، لأن الفعل الكلامي لا يتوقف على القوة الإنجازية الحرفية، إذ لابدّ من وجود معانٍ أخرى تحدد المغزى الكلامي من الملفوظ، وذلك للوصول إلى قصد المتكلم.

3- الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري: وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير تأثيرًا جسديًا أم فكريًّا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما، أمّا التأثير في المخاطب، فمن غير الممكن التنبؤ به، وقد يكون عكس ما يتوقعه المتكلم، ولا يمكن معرفة مدى التأثير في السامع إلا بعد صدور فعله

ثانيًا- القوة الإنجازيّة:

قوة المنطوق الإنجازية هي جزء من بنيته الدلالية، فالمنطوقات لا يُمكن أن تُدرك حقيقتها إدراكًا يؤُمَن معه اللبس، ذلك لأنّ لكلّ منطوق ملابسات استعمال مختلفة، لأنّ الفعل الكلامي يمتلك أغراضًا إنجازيّة متباينة بتباين ملابسات استعماله[7].

فالقوة الإنجازية هي ما يمتلكه الفعل الكلامي من أغراض إنجازية ومعانٍ ودلالات متباينة تراوح بين الغرض المباشر وغير المباشر، فالأمر مثلاً غرض مباشر، والعرض أو التمني غرض غير مباشر، فالمنجز من الفعل الكلامي هو المُسمّى بالفعل التأثيري، أي ما ينتج عن الفعل الإنجازي من عملية إقناع المخاطب بأن يفعل كذا أو

يترك كذا[8]، ويتجلى ذلك في سياق الفعل الصوتي التلفظي الذي تتحق فيه صورة الفعل وهيئته وذلك عن طريق الجانب الإنجازي وهو الناحية الدلالية والمعنوية التي يقصد إليها الفعل الكلامي وما يؤديه من أفعال لغوية، فالإخبار، والاستفهام، والوعد، والأمر، والاعتذارات، والتحسّر.....إلخ، هذه الأفعال اللّغوية هي ما تُسمّى بالغرض الإنجازي أو المقصد الإنجازي[9].

وقد نتساءل ما هو الفرق أو كيف يمكننا أن نفرّق بين الغرض الإنجازي والقوة الإنجازية للمنطوق؟

للإجابة عن هذا السؤال أورد المثال التالي:

قوله تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام: ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا**﴾ [10]، في الآية عرض بقوله: ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾ فالغرض الإنجازي هو "العرض"، والقوة الإنجازية هي "النهي المعلل" بقوله" إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا".

فالغرض الإنجازي جزء من القوة الإنجازية ولكنّه ليس إيّاها، والقوة الإنجازية نتاج عناصر عديدة، ليس الغرض الإنجازي إلاّ واحدًا منها[11].

ذكر أحد العلماء المحدثين إنّ القوة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارات اللّغوية قوتان:

1- قوة إنجازية حرفيّة.
2- قوة إنجازية مستلزمة.

ويُميز عادة بين هاتين القوتين على أساس أنّ القوة الأولى مدلول عليها بطريقة مباشرة بصيغة العبارة، في حين أنّ القوة لثانية تتولد عن الأولى طبقًا لمقتضيات مقامات معينة، فما يتعلق بالتمييز بين القوتين الإنجازيتين الحرفية والمستلزمة مقاميًّا، لذا يمكن إيراد الفرقين الأساسيين التاليين.

أ- تظل القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميًّا بحيث لا يتم تولّدها إلاّ في طبقات مقاميّة معيّنة.

ب- تأخذ القوة المستلزمة نتيجة للخاصية (أ) وضعًا ثانويًا بالنظر إلى القوة الحرفية، وتتجلى ثانويتها في أمرين، هما:

1- في أنها يمكن أن تلغي.

2- وفي أنها لا يتوصل إليها إلّا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، في حين أن القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها[12]، ومن هنا نستطيع القول بأن معرفة المطلوب أو المقصود من الفعل غير المباشر لدى المخاطب تتمّ من خلال معرفته لسياق الفعل من خلال البنية اللغوية لهذا الفعل.

ثالثًا- الفعل غير المباشر:

ينقسم الفعل الكلامي إلى فعل مباشر وفعل غير مباشر، ويبدو جليًّا أن الاستراتيجية المباشرة تنحصر في كيفية التعبير عن القصد الظاهر أصلاً في الخطاب بحسب ما يستلزمه السياق، أي في شكل الخطاب، في حين تنحصر الاستراتيجية غير المباشرة في التعبير عن القصد أو المعنى المراد باطنًا[13].

فالمتكلم قد يتلفظ بأفعال مباشرة ولكنه لا يقصد هذه الأفعال، بل يقصد أفعالاً غير مباشرة أو أغراضًا غير مباشرة تتضح من خلال سياق الكلام، وهنا على كل من المخاطِب والمخاطَب الوصول إلى المراد تداوليًا، من الخطاب.

ويمكن وضع بعض الضوابط للتمييز بين هذين النوعين من الأفعال المباشرة وغير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية، وهي:

1- أنّ القوة الإنجازيّة للأفعال غير المباشرة تظلّ ملازمةً لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازيّة غير الحرفية فموكولة إلى المقام لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

2- أنّ القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تُلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تُلغى القوة الإنجازيّةغير المباشرة، وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة، وهي الاستفهام.

3- أنّ القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنيّة استدلاليّة تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أمّا القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه[14].

وحديثنا هنا عن الفعل غير المباشر الذي يُعدّ ظاهرة لُغوية تؤدّي دورًا مهمًا في تشكيل المعنى داخل الخطاب، فدوره يتجاوز مجرد نقل المعلومات إلى الإيحاء بمعانٍ ودلالات تعتمد في تأويلها على السياق، وهذا ما يضفي بعدًا تداوليًا في الوصول إلى المعنى المراد فيه، فالأفعال غير المباشرة يكون لها إنجاز دلالي يقتضيه السياق أو المقام، فالفعل يخرج من معناه الحرفي إلى معنىً آخر هو المقصود من الملفوظ في عملية التواصل الكلامي.

وقد قرر "سيرل" أنّ المتكلّم لا يقصد ما يقول فحسب، بل يتعدّى قصده ما قاله إلى ما هو أكثر منه، فالأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدلّ هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه "سيرل" معنى المتكلم، والمشكلة في هذا النوع من الأفعال هو كيف يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئًا آخر، ثمّ كيف يكون ممكنًا أن يسمع المخاطب شيئًا ويفهم معنىً آخر؟[15].

وهنا نورد المثال المشهور: هل تناولني الملح؟ ففعل القول في الجملة هنا هو الاستفهام، والفعل المتضمن في القول هو الطلب، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي.

من هذا يتضح "أن معنى جمل اللُّغات الطبيعيّة إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا ينحصر فيما تدلّ عليه صيغها الصورية من استفهام وأمر ونهي ونداء، إلى غير ذلك من الصيغ المعتمده في تصنيف الجمل، ويعني هذا بالنسبة للوصف اللُّغوي أن التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يُصبح متعذّرًا إذا اكتفي فيه بمعلومات الصيغة وحدها"[16].

وقد طوّر "سيرل" نظرية استاذة "أوستين"، وأعاد النظر فيها وقام بتطويرها، حيث أكد أن "الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللُّغوي، وأنّ للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية الذي يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة[17].

وميز "سيرل" بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، بمعنى أن يكون ما يقوله المتكلم مطابقًا لما يعنيه، والأفعال الإنجازية غير المباشرة هي التي تخالف قوتها الإنجازية قصد المتكلم[18].

وعرف "سيرل" الفعل المباشر بأنّه "الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه"، وهو يعنى حرفيًا ما يقول وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدًا أن ينتج أثرًا إنجازيًا على المتلقي، ويقصد أن يتيح هذا الأمر من خلال جعله المتلقي يدرك قصده في الإنجاز"[19].

وأمّا الأفعال اللغوية غير المباشرة فهي "الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها وتشتمل على معانٍ حرفية وحوارية"[20].

المبحث الثانـــــي ـ الفعل الطلبي ـ الأمـــر الاستفهام النداء:

سيكون الحديث في هذا المبحث عن دراسة الفعل الطلبي "الأمر، والاستفهام، والنداء"، بوصفه فعلاً لغويًّا غير مباشر من خلال آيات من قصة إبراهيم –عليه السلام-.

أوّلاً- الأمـــــر:

الأمر عند أهل اللّغة هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد يخرج عن معنى الأمر إلى معانٍ أخرى"[21]، فالأمر مشترك بين القول والفعل، فهو فعل إنجازي يحمل قوةً إنجازية تظهر من خلال الغرض الذي يؤدّى به الفعل. وفعل الأمر من الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تؤدي وظيفة لُغوية، وله قوة إنجازية تتضح من خلال السياق، فعندما تقول لصديقك: افتح مظلتك قبل أن تخرج، ففعل الأمر في هذا الخطاب يُلمّح إلى عدة معانٍ، منها أنّ المرسل يهمه أمر المخاَطب، ومنها أنّ الجو ممطر، وأنّه يخاف على صديقه من المرض.

وقد جاء فعل الأمر في قصة إبراهيم – عليه السلام- في قوله تعالى: "وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي".[22] ، قال القرطبي: "اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم – عليه السلام – شاكًا في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أنّ النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت"[23]، فخرج الأمر عن صيغته المباشرة إلى طلب غير مباشر، فهو يطلب أكثر من الرؤية العادية، أي أنّه يطلب المعاينة، ففعل الأمر هنا حمل قوّةً إنجازيّةً فعلية اتضحت من قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿ **قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.[24] ، فالقوة الإنجازية التي حملها فعل الامر على لسان إبراهيم –عليه السلام- هي الالتماس والدعاء، وليس الأمر الحقيقي، فإبراهيم – عليه السلام – لا يأمر ربّه، بل يطلب بلطف وتضرح أن يريه الكيفية التي يحيي الله بها الموتى. فالفعل الكلامي "أرني" قد يبدو للوهلة الأولى أنه فعل مباشر، "ولكنّ إبراهيم – عليه السلام – أحبّ أن يترقّى من علم اليقين إلى عين اليقين".[25]

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾.[26] فعل الأمر "اسْأَلُوهُمْ " هنا ليس الغرض منه مجرد طلب للسؤال حقيقة، بل هي سخرية وتوبيخ في آن واحد، فإبراهيم عليه السلام – لابأمرهم فعلاً أن يسألوا الأصنام لأنه يعلم ويعلمون أنّ الأصنام لا تتكلم، بل هو قول

يراد به الإلزام بالحجة وكشف السخف في عبادتها، "وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد"، [27] فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر في الآية لفعل الأمر "فاسألوهم" هي قوة التوبيخ والتقريع والتهكم، لا الأمر الحقيقي بالسؤال، وهو أمر للتعجيز والتوبيخ وإقامة الحجة، لا للامتثال الحقيقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[28]. الأمر في الآية "فأتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ" أي الشمس، أي: "إذا كنت كما تدّعي من أنّك أنت الذي تُحيي وتميت، فالذي يحي ويُميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كلّ يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأتِ بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنّه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهِت، أي: أُخرِس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة".[29]

فالمقصود ليس الطلب الحقيقي للأمر على وجه التنفيذ من الخصم أن يأتي بالشمس من المغرب، لأن ذلك مستحيل، وإنما كان تحدًّ من إبراهيم –عليه السلام- فالقوة الإنجازية التي حملها الفعل هي قوة التحدي والتعجيز والكلام هنا أنجز فعل الإلزام بالحجة وإظهار العجز، وليس مجرد الطلب، ولذلك جاء بعده مباشرة قوله تعالى: "فبُهِتَ الذي كفر" وهذه نتيجة، وهي ما يُسمّى بالفعل التأثيري، وهو هنا التقرير والحكم بحصول الانقطاع التام للكافر في الحجّة.

ثانيًا- الاستفهام:

عرّف الجرجاني الاستفهام بأنّه طلب العلم بشيء لم يُعلن من قبل، وقد يخرج عن حقيقته إلى معانٍ أخرى كالتقرير والتوبيخ والإنكار.[30]، وهو أحد الأساليب المستخدمة في اللغة العربية من أجل الوصول إلى هدف معين، والاستفهام نوعان:

استفهام حقيقي؛ وهو الذي ورد في أصل معناه، وهو طلب معرفة المجهول، واستفهام بلاغي أو مجازي؛ وهذا النوع لا يُقصد به الاستفهام بعينه، وإنما يراد منه قصدًا آخر غير الاستفهام، كأن يكون لغرض التوبيخ أو التقرير، أو ما شابه ذلك، إذ أن الغرض هو غرض بلاغي، وليس استفهامًا حقيقيًا.

فالاستفهام من الأفعال اللغويّة التي تؤدي اغراضًا إنشائية، وإن وظيفتها لا تقتصر على التواصل فحسب، وإنما هي أدوات تستخدم لإنجاز أفعال مخصوصة.[31] ، فمثلاً

إذا سأل أبٌ ابنته: ألم تذهبي إلى الجامعة؟ وهو يعلم أنها لم تذهب، فالفعل المباشر هو السؤال الذي يتطلب إجابة، والفعل غير المباشر وهو المقصود هو التوبيخ لابنته على عدم ذهابها إلى الجامعة، ويريدها ألا تتغيب، فالقوة الإنجازية لفعل الاستفهام هي **التوبيـــــخ:**

ورد الاستفهام في قصة إبراهيم – عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ** ﴾ .[32]، في هذا الجزء من قصة إبراهيم –عليه السلام- يتبرأ إبراهيم من الشرك وأهله، "فإن الله تعالى أتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشبّ أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل".[33]، ولهذا فهو يستنكر على قومه عبادة الأصنام، إذ قال: "لأبيه وقومه ما تعبدون" وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام، فالقوة الإنجازية لهذا الاستفهام هي الاستنكار، أي أنّه يستنكر عبادتهم الأصنام، ﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾، أي هل "تنفعكم هذ هالأصنام وترزقكم أو تملك لكم جبرًا أو ضرًّا إن عصيتم؟ وهذا استفهام لتقرير الحجة فإذا لم ينفعوكم أو يضرركم فما معنى عبادتكم لها؟"[34] ، فالقوة الإنجازية لفعل الاستفهام غير المباشر في هذه الآية هي التقرير، أي تقرير الحجة على الكفار الذين يعبدون الأصنام، والفعل غير المباشر هنا هو فعل كلامي يؤدي قوة إنجازية تظهر من خلال الاستفهام الأنكاري.، ثم قال: ﴿ **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ ، قوله ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ**﴾ الاستفهام في هذه الآية يؤدي قوة إنجازية من خلال الفعل الكلامي التأثيري "أفرأيتم" وكأنه يقول لهم: ألم أقل لكم إنهم لا ينفعونكم، وهي قوة إثبات الحجّة على قومه بأن الأصنام لا تنفعهم ولا تضرهم، أي: "إن كانت هذه الأصنام شئيًا ولها تأثير فلتخلص إليّ بالمساءة، فإنّي عدولها لا أباليها ولا أفكر فيها"[35]، فهذه الاستفهامات المتتالية في الآيات حملت قوى إنجازية مختلفة تمثلت في تقرير الحجة، وقوة إثبات الحجة، فالفعل الكلامي غير المباشر المتمثل في الاستفهام في الآيات الكريمة أدّى غرضًا إنجازيًا وحمل قوة إنجازية.

ثالثًا ـ النداء:

يُستخدم النداء في مقامات مختلفة فأحيانًا يأتي للتلميح، وأحيانًا للدعاء، وأحيانًا "تستعمل صيغته في غير معناه"[36]، والنداء من الأفعال اللّغوية التي تحمل قوى إنجازّية تظهر من خلال الفعل الكلامي غير المباشر، مثال ذلك: عندما يخطئ طالب نبيه فيقول معلمه: ما هذا الخطأ ياذكي؟

فالنداء في هذا الموقف ليس المقصود منه النداء لأجل النداء، وإنما فعل النداء حمل قوة إنجازيّة هي التنبيه على الخطأ، لكون الطالب ذكي ولا يجوز منه هذا الخطأ.

وقد ورد في قصة إبراهيم –عليه السلام- قوله ـ تعالى ـ على لسان إبراهيم: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾.[37] تتالت النداءات في الآيات على لسان إبراهيم –عليه السلام- لأبيه آزر، فهو في الآية الأولى التي ورد فيها النداء ينهى إبراهيم أباه عن عبادة الأصنام بقوله ـ تعالى- : ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**﴾ أي: ﴿ **لايسمعك ولا يدفع عنك ضررًا**﴾ [38]، وهو "يريد الأصنام"[29]، وهو في هذه الآية يبيّن لأبيه الخطأ في عبادة الأصنام وتماديه في تعظيمها فناده بـ "يا أبتِ" الذي دلّ على معنى التوسّل والاستعطاف، فالقوة الإنجازية للنداء في الآية هي قوة التوسل والاستعطاف، وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾ أي: "من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وأنّ من عبد غير الله عُذب فاتبعني إلى ما أدعوك إليه أهدك صراطًا سويًا"[40]، والتلطّف في النداء يبدو ظاهرًا حتى وإن كان المنادي في مركز القوة، فهو يخاطبه ولسان حاله يقول: "فإن كنت من صلبك وترى أنّي أصغر منك، لأنّي ولدك، فاعلم أنّي قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه، ولا جاءك بعدُ".[41]

ففي نداء إبراهيم – عليه السلام – لأبيه ثنّى إبراهيم بدعوته إلى الحق مترفقاً ومتلطفًا به، فلم يسمه بالجهل المفرط، ولم يسمِّ نفسه بالعلم الفائق بل دعاه دعوة الابن المحب لأبيه. فالقوة الإنجازية التي حملها الفعل الكلامي غير المباشر وهو فعل النداء هي قوة التطلف والترفق في النداء.

وفي الآية الثالثة قوله- تعالى- : ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا**﴾ ، أي: "لاتطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به"[42]، فهو ينهى أباه عن عبادة الشيطان الذي لا يريد إلا الخزي في الدنيا والهلاك في الآخره لبني البشر، فلو قال: "لاتعبد الشيطان" وسكت لما كان الكلام تامًا، ولما أدّى المعنى التام من عبادة الشيطان فهو قد علّل له نهيه عن عبادة لشيطان، فهو للرحمن عصيًا، والعصيّ هو الذي تكون عاقبة عصيانه وخيمة، فذكر عاقبة الشيء المنهي عنه تكون أدلّ في إثبات الحكم من الشيء، وأكثر قبولاً لدى المخاطب. والقوة الإنجازية هنا لا تختلف عن الآية السابقة، فمازال التلطف والترفق في أسلوب النداء غير المباشر بل ومازاد من هذه القوة هو ذكر علة النهي.

وفي الآية الرابعة قوله – تعالى- : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ أي: "على شركك وعصيانك لما آمرك به" فتكون للشيطان وليًا، يعني: فلا يكون مولىً ولا ناصرًا ولا معينًا إلا ابليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له مُوجب لإحاطة العذاب بك"[43]، فهو يُخوفه من سوء العاقبة الذي يكون للشيطان ومن اتبعه، أي صار له وليًا، وذلك بتلميحه للعذاب مع حُسن الأدب من التلميح، فذكر الخوف بقوله "إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن"، وذلك المسّ بدلاً من العذاب، فهو لم يقل: يعذبك، بل قال: أخاف أن يمسك عذاب، فقد حمل النداء في هذه الآية قوة إنجازية للفعل الكلامي غير المباشر وهو قوة شدّه حب إبراهيم –عليه السلام- لأبيه وخوفه عليه أن يمسه عذاب من الرحمن والرغبة في صونه وإرشاده إلى الصواب "لأنه لم يكن آيسًا من إيمانه، بل كان راجيًا له وخائفًا أن لا يؤمن، وأن يتمادى في الكفر فيمسه العذاب"[44].

ومن النداء في قصة إبراهيم – عليه السلام- قوله تعالى على لسان آزر – أبي إبراهيم: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ [45]أي: "يقول - تعالى - مخبرًا عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه انّه قال: "أراغب أنت عن ألهتي يا إبراهيم، يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبّها وشتمها وعيبها فإنّك إن لم تنتهِ عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك"[46]، في هذه الآية اختلفت صيغة النداء من الاستعطاف والتطلف الترفق في النداء إلى التوبيخ والإنكار، فهو ينكر عليه ترك عبادة الأصنام، وكذلك التهديد الصريح بقوله: " لئن لم تنته لأرجمنك"، وهو توجيه الوعيد بالعقاب بالرجم، وقطع الحوار مع

إبراهيم ودفعه إلى التراجع. فالقوّة الإنجازية التي حملها الفعل غير المباشر من النداء هي التوبيخ والإنكار والتهديد الصريح.

ومن النداء قوله- تعالى- : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [47]، جاء النداء في الآيتين وفي كثير من الآيات غيرهما بقوله: "ربّ" من دون "يا" النداء، وقد ذكر النحاة [48] أنّ النداء قد يجري بغير أداة فيما يكثر استعماله، وفسروا ذلك بانّ حذف "يا" يدلّ على قرب المنادى، وهو حذف جائز إذا دلّ السياق على النداء، ومثاله قوله تعالى: "ربَّ اغفرلي"[49].

وذكر بعض المفسرين أنّ إبراهيم - عليه السلام - تبرأ ممّن عبد غير الله، وأنّه دعا لمكة بالأمن ، وقال : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾[50]. فالنداء هنا ليس لمجرد التنبيه، بل هو للدعاء، وهو نداء يُراد به التضرّع وطلب تحقيق أمر مهم، فتكون وظيفة النداء بـ "ربّ" هنا الاستعطاف والتوسّل الذي يُقدّم بين يدي المدعو فيعطيه قوّة تأثيرية، فالقوة الإنجازية التي حملها فعل النداء غير المباشر هي قوة طلب الاستعطاف والتوسّل والرجاء.

وتجدر الإشارة إلى أنّه تكرر في قصة إبراهيم – عليه السلام – النداء بـ "ربّ" و"رَّبنا" من دون "يا" في آيات كثيرة[51].

خاتمة البحث:

من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث مايلي:

1- القوة الإنجازيّة مصطلح يتجلي من خلال ما يمتلكه الفعل الكلامي من أغراض ومعانٍ ودلالات تتضح من خلال الغرض غير المباشر.

2- الأفعال الكلامية غير المباشرة لها أثر في إيصال المعنى إلى المتلقي أكثر من الصغية المباشرة، لأن المتلقي عادةً ما يرفض بعض الأساليب كالأمر المباشر.

3- إنّ لصيغ الاستفهام والأمر والنداء طاقة إنجازية تظهر في صورتها غير المباشرة تمثل بعدًا تداوليًا من خلال آيات القرآن الكريم.

4- إنّ مفسّري القرآن الكريم هم أكثر الباحثين استجلاء لمعانيه، فهم أعمق فهمًا من غيرهم، لأنهم يقفون عند كل كلمة في النص القرآني.

بيان تضارب المصالح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور

في هذه الورقة.

الهوامـــــــــش :

1- نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، العيد جلولي، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة: 56.
2- مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلاي دلاش، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 22.
3- ينظر التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني، مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت: 41.
4- ينظر المصدر السابق: 41.
5- ينظر المصدر نفسه: 42.
6- ينظر نظرية الحدث الكلامي: 59.
7- ينظر النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014م: 221، 222.
8- ينظر القوة الإنجازية في الخطاب الإقناعي، أبو بكر محمد سويسي، منشورات المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة العربية والآداب، كلية أبو عيسى، 2021م: 231.
9- ينظر النص والخطاب والاتصال: 218.
10- سورة مريم: الآية 43.
11- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، 2002م: 75.
12- ينظر آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم5، 1993م: 21- 23.
13- ينظر استراتيجية الخطاب "مقاربة لُغوية تداولية"، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004م: 370.
14- ينظر المصدر السابق: 22-23.
15- ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 82.
16- دراسات في نحو اللغة الوظيفي، أحمد المتوكل، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1986م: 83.
17- ينظر الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، عليّ محمود الطرّاف، مكتبة الآداب، بيروت، 2002م: 33.
18- يُنظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 48- 49.
19- تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللُّغوي العربي القديم، من خلال أسلوبي الأمر والاستفهام، خديجة محفوظ الشنقيطي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، 2012م: 85.
20- التداولية عند العلماء العرب: 35.
21- البلاغة، فنونها وآفنانها "علم المعاني" فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط2: 153- 154.
22- سورة البقرة: من الآية (259).

23- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مراجعة وضبط محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، 2007م: 555/3.
24- سورة البقرة: من الآية (259).
25- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، 2003م: 390/1.
26- سورة الأنبيا، الآيتان (62،62).
27- تفسير القرآن العظيم: 226/3.
28- سورة البقرة: من الآية (257).
29- تفسير القرآن العظيم: 388/1.
30- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، دار المعارف، تحقيق: محمود شاكر: 281.
31- يُنظر الأثر الحجاجي لأسلوب الاستفهام في الخطاب القرآني، تأملات في سورة الكهف، خميس شرفي، مجلة المغربي للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، العدد الثاني، 186.
32- سورة الشعراء: الآيات (69-746).
33- تفسير القرآن العظيم: 415/3.
34- الجامع لأحكام القرآن: 102/7.
35- تفسير القرآن العظيم: 415/3.
36- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م: 140.
37- سورة مريم: الآيات: (40-44).
38- تفسير القرآن العظيم: 153/3.
39- الجامع لأحكام القرآن: 102/6.
40- المصدر السابق: 102/6.
41- تفسير القرآن العظيم: 153/3.
42- المصدر السابق: 153/3.
43- المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسها.
44- البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، تحقيق عادل أحمد وعادل معوض، 1993م: 182/6.
45- سورة مريم: الآية (45).
46- تفسير القرآن العظيم: 153/3.
47- سورة إبراهيم: الآيتان: (37-38).
48- سورة ص: الآية (34).
49- يُنظر أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار التراث المعاصر، 1956م: 292/4.
وشرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق محيي الدين يُنظر عبدالحميد، دار التراث القاهرة، 1969م: 2563/2.
50- يُنظر تفسير القرآن العظيم: 673/2.
51- يُنظر سورة البقرة: الآيات (127، 128، 129، 130)، وسورة إبراهيم، الآيات: (35، 37، 40، 41)، وسورة الممتحنه: الآيات: (4،5)